الكتاب الجديد

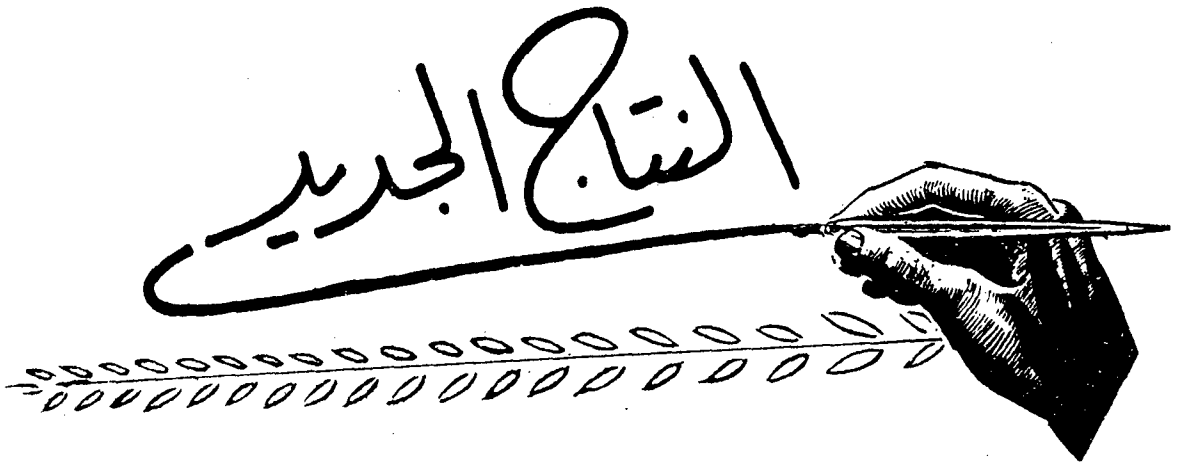

الخبز مع الكرامة

بقلم يوسف عبدالله صائغ

منشورات دار الطليعة ـ بيروت

تعج الفترة الحالية من تاريخنا بتطورات كثيرة ، تعود في اصولها الى سببين متفاعلين ، احدهما سبب حديث وظاهرة عصرية ، والآخر سبب قديم ، وظاهرة انسانية .

فأما السبب القديم فهو رغبة الانسان في تنظيم مجتمعه تنظيما يؤمن اكثر الخير ، ويجسد اعظم الفضائل التي يؤمن بها المجتمع . ولعل اول التعبيرات العظيمة عن هذا الامل الانساني الكبير هو جمهورية افلاطون ، التي لا يستطيع مفكر مجتمعي ، منذ وضعت ، ان يتجاهلها .

وأما السبب الثاني الحديث ، فهو العلم وتوأمه التقنولوجيا . فالعلم الحديث ادخل ثورة الى عالم الانتاج ، تقوم على ركيزتين ، اولاهما الالة العاملة بمصادرة الطاقة اللابشرية والقادرة على اداء العمليات التكرارية بدقة وسرعة ، وثانيهما الاسلوب الانتاجي القائم على اختصاص كل عامل بأداء وظيفة صغيرة ، ضمن اطار من الادارة المنظمة والتصنيف المرتبي لفئات العمال . وتبين ارتباط هذا الاسلوب الجديد بالامل القديم في التنظيم المجتمعي الفاضل ، عندما اتضح ان اسلوب الانتاج ، يتضمن انشاء مؤسسات جديدة ، ربط الناس بها برباط وثيق ، وعندما عرف الناس ان عمل الانسان في الانتاج نفسه يستوعب القسم الاكبر من حياته الواعية فلا بد له اذن ان يؤثر في عقليته وتكوينه . وزادت حدة الارتباط عندما شعر الانسان بما يستطيع اسلوب الانتاج الجديد ان يحدثه من زيادة في الثروة ، ووفرة في السلع والخدمات الاستهلاكية ، وعندما ادرك في الوقت نفسه ان خيرات هذا الاسلوب الجديد قابلة للتوزيع الحسن والتوزيع السيء .

كان الانسان المفكر قبل عصر العلم والتقنية الحديثة ، يتصور انه ربما استطاع توفير السعادة للبشر ، باعادة تنظيم المجتمع . فكانت الفردوسيات العظيمة من افلاطون ، الى الفارابي ، فسير توماس مور ، حتى الاشتراكيين الفرودوسيين من امثال أون وسان سيمون وفوريه . ولكنه كان يصطدم دائما بعقبة الواقع السابق لعصر العلم او المعاصر لاوائل تطبيقاته .

وهذا الواقع يتكون من عنصرين : ندرة الموارد الاقتصادية ، بحيث انه مهما حسن توزيعها ، فسيبقى الفقر فقرا . اما العنصر الثاني فهو اعتماد الانسان الاوحد او الاول على طاقة عضلاته في سبيل الانتاج . وظلت الانظمة المجتمعية كلها طوال القرون الماضية تلف ضمن هذين الحدين ولا تتخطاهما . ويمكن ارجاع كل المظاهر الجائرة في تلك الانظمة اليهما او الى احدهما .

وجاء العلم يغزو عالم الطاقة اللابشرية ، ويغزو عالم الندرة ، فجاشت الآمال ، ولاحت التوقعات البراقة ، واخذت المشاكل الاجتماعية تبدو متفاعلة ضمن مزيج من النسج الفكرية القديمة ، والواقع الحالي ـ بما يحتويه قبل التصنيع وفي اوائله من جور وشقاء ـ والامل العظيم للمستقبل . ولم يستطع عصرنا بعد ان يميز تماما بين الامكانات التي فتحها العلم ، والامكانات التي قد يفتحها التنظيم المجتمعي . ولما كان ايضا عصر السرعة الهائلة في المجال الطبيعي ، فانه لم يستطع ان يوازن بعد بين سرعة الحركة ، في الاكتشاف ، والعلم ، والحركة ، وبين سرعة التطور الاجتماعي. وطبيعي ان يكون في الواقع من أقل العصور اصطبارا، ومن اسرعها الى البرم والضجر والحركة .

ولا بد لهذا الواقع كله ان ينعكس فينا ـ مجتمعا وافرادا . ولعل اسئلة صعبة ثلاثة تراود اليوم مجتمعنا وتهزه بعنف :

هل سنقبل العلم وتوأمه التقنولوجيا بدون تحفظ ؟

هل سنهيىء للعلم والتقنولوجيا كامل الفرصة للسيطرة على جميع نواحي حياتنا ؟

هل نستطيع ان نسيطر على مقاومة القديم ، واندفاع آمال المستقبل ـ وكثيرا ما يتحد تشبث القديم وانطلاق المستقبل ضد الحاضر ـ لنتم هذا التغير بأقل ما يمكن من الالم ؟

اننا على العموم نتابع هذه العمليات كلها باسلوب الاقتباس ، وتقبل القريب من متناولنا ـ عمليا وذهنيا . ومن هنا ما زلنا في دور تصارع الشعارات الخارجية ، التي كثيرا ما تكون مجرد ستار لتصارع خارجي لا علاقة لها بآمالنا او واقعنا .

ولقد كانت مساهمة المفكر العربي في هذا الصراع محدودة ، ومعظمها ايضا يدخل في باب الاقتباس . وان اقدام الدكتور يوسف صائغ على اثارة هذا الموضوع بمثل هذا الجد والتجرد والاستقلال في الرأي لعمل يستحق عليه تقديرا عظيما . ونعتقد ان الدكتور صائغ وضع يده في كتابه « الخبز مع الكرامة » على جميع المخاطر والعلل المهمة ، التي تواجه المجتمع العربي اليوم ، وقدم لها الاقتراحات « العقلانية » .

والزاوية التي ينظر الدكتور صائغ منها الى موضوعة هي زاوية باحث الاقتصاد المؤمن بمستقبل أمته وكرامتها ومن هنا فهو يجمع بين الامل في اعادة التنظيم المجتمعي وبين معرفة موقع التقنولوجيا العصرية واثرها في هذا المجال . وان معرفته الدقيقة بالناحية الاقتصادية الفنية من الموضوع ، لتجعله قادرا على غربلة الكثير من الشعارات المبسطة الجياشة . وهو يعتقد بالاشتراكية اسلوبا للتنظيم الاقتصادي والمجتمعي، ولكنه يدرك تماما ان الاشتراكية قد تعني اشياء كثيرة ، بينها ما هو وارد ومعقول ، وبينها ما يحتاج الى كثير من الحساب والنقاش . ولذلك فقد حدد اشتراكيته تحديدا واضحا . ويظهر لنا من تحديده انه لا

يريدها اشتراكية مذهبية ، بل اشتراكية تجريبية . والفرق بين هذين الطرزين من الاشتراكية كبير . فأولهما مستعد للتضحية بجيل كامل او اكثر في سبيل تحقيق مذهب ، دونما نظر لما يتضمنه ذلك من الشقاء الانساني ، ليكتشف في نهاية المطاف انه كان قادرا على الوصول الى حيث وصل بدون هذا الشقاء كله . وهذا ما فعله ستالين واكتشفته روسيا من بعده . وثانيها يقر بأن الاشتراكية انما هي لخدمة الانسان وليس العكس . ومن هنا يصر الاستاذ الصائغ على ان يجري السعي للاشتراكية ضمن اطار من « التراضي والطوعية لا عن طريق صراع الطبقات » . ثم يرفض أن تلف الاشتراكية نفسها كل الحياة ويرى ان لها حدودا يجب تعيينها ، وانها اذا كانت تعني قيام الدولة بالقسط الاهم من الحياة الاقتصادية فلا تعني ابدا تصفية كل جهد فردي وكل نشاط خاص .

وتلك في اعتقادي اهم مستلزمات هذه اللحظة ، كما اثبتت احداث الوطن العربي كله عام ١٩٦١ بما لا يقبل شكا . ويريدها اخيرا اشتراكية تنمو ضمن مفهوم الحرية والمشاركة والديموقراطية الصحيحة .

واذا كنا نريد اشتراكية عربية ، فيجب ان تكون بالضرورة عربية ، اي شاملة ، ولا يمكن وجود اشتراكيات عربية محلية منوعة ، مهما كانت اسماؤها . ومن هنا كان تبينه الواضح للحاجة الى الوحدة وعدم التفتيت .

انني اعتقد بأن هذه النقاط تمثل بدقة وأمانة التفكير العربي الواعي في هذه المرحلة الحرجة من تاريخنا . فهي لا تتضمن تحفظا من ناحية الاهداف النهائية ، ولكنها تدرك جيدا اخطار التسرع ، مهما كانت دوافعه مثالية وعظيمة . كما تريد ، بان يتم التغير كله ضمن اطار من الكرامة ، لكل الافراد ، وتعتقد بامكان ذلك .

ان من اجمل ما قيل في وصف هذه المرحلة من تاريخنا قول أدلى به الرئيس جمال عبد الناصر لمراسل احدى الصحف-الالمانية ، وذكر فيه اننا نعيش في عصر طوفان من الاماني ، وان الطوفان قادر على ان يخرب، مقدرته على ان يكون مصدرا للحياة ، وان اكثر ما نحتاجه الآن هو بناء السدود التي تختزن امانينا ، مثلما تختزن السدود مياه فيضان النهر . وستنطلق هذه الاماني من ثم على الارض الطيبة التي تنتظرها لتستنبت منها الخير العميم .

برهان الدجاني

حارة الطيب

رواية تأليف محمد جلال

يبدو أن العام الجديد ، عام ١٩٦٢ ، يبشر بانتاج غزير في الحقل الادبي ، فقد ظهرت ـ في وقت واحد ـ كتب عديدة متزاحمة ، منها ـ على سبيل المثال لا الحصر ـ مسرحية « الراهب » للدكتور لويس عوض ، ومجموعة قصص « الاستاذ في الحارة » للقصصي الشاب محمد سالم، وكتاب « الاحلام » لمصطفى محمود ، ورواية « حارة الطيب » لمحمد جلال ، وهي موضوع الدراسة التالية :

*

انها رواية يدخل بها محمد جلال ميدان الفن الروائي ، أما نشاطه المعروف عنه فهو الصحافة ، اذ يعمل صحافيا بمجلة الإذاعة . وروايته الحالية ليست وليدة الساعة ، وانما استمر يعمل فيها ، ويدونها وينقحها لفترة طويلة . ثم خرجت الى النور مع طلائع العام الجديد ، فما هي طبيعة هذه الرواية ؟

يحدث أحيانا أن يتدخل عنوان الكتاب في تحديد موقف القارىء او الناقد منه ، فالعنوان يعده بشيء ـ أو هذا ما يتصوره القارىء أو الناقد ـ فيشرع في القراءة على هذا الاساس . وقد تكون للعنوان ايحاءات عاطفية ، انفعالية ، فيقع القارىء تحت تأثيرها ، ويتتبع السطور تحت هذا التأثير .

وأعترف أنني تعرضت لهذه التجربة ، أو « الحالة » وأنا أقرأ عنوان الرواية ! من المؤكد أن البطل في هذه الرواية هو حارة الطيب نفسها ، الاهل الذين يعيشون فيها .. المهم ... دون اغفال لابن من ابنائها . وازددت اقتناعا بهذا الخاطر وأنا أطالع الاهداء الذي كتبه المؤلف : « اهداء . الى .. النماذج البشرية في حارة الطيب » . وبهذا تحدد موقفي من الكتاب ، وقدرت الاشياء التي يصح لي أن أتوقعها من صفحاته ، وصار من حقي أن أحكم على هذا العمل على ضوء نجاح المؤلف في تحقق الهدف الذي كان يرمي اليه ، أو عدم نجاحه .

وشيئا فشيئا صار من الواضح أن حارة الطيب ، بنماذجها البشرية ، لا تلعب دور البطل في هذه الرواية ، ان البطل الذي يدور حوله محور الرواية ، بل وتلتف حوله النماذج البشرية التي تقطن حارة الطيب شاب اسمه : رفعت مخلص .

ليس هناك من ينكر أن « رفعت مخلص» احد سكان حارة الطيب ، وان من حقه ان يظهر ويبرز ويعبر عنها ، غير انه يحتل خشبة المسرح طوال الوقت ، ليصبح دور الحارة دور الديكور الذي يحتل مؤخرة المسرح ، وليصبح دور السكان دور الكورس في مسرحية رفعت مخلص .

فمن هو رفعت مخلص ؟ انه شاب مرهف يعشق القراءة والكتابة ، ويكافح ـ في نفس الوقت ـ في سبيل لقمة العيش التي تقتسمها معه أمه الطيبة وأخته اللطيفة عفت ، فهو الابن والشقيق والعائل في وقت واحد . واذا كان هناك ما يميز هذا الشاب عن كثيرين غيره فهو أنه يحتضن عدة مبادىء جادة يعتز بها ويحنو عليها ، وهو يتحمس لهذه المبادىء بشدة ، وهو أيضا على استعداد للتضحية بالكثير من أجلها . وأمله الكبير ، في الحياة ، أن يصبح أديبا كبيرا له مبادىء سليمة ، وأن يخدم مجتمعه الصغير الذي يعيش في حارة الطيب ، ومجتمعه الكبير الذي يعيش خارجها .

ورفت مخلص ، الكاتب الشاب الناشىء ، يؤلف مسرحية طويلة اسمها « ثورة العمالقة » . والمسرحية تدور حول ابنة اقطاعي تحب أحد الفلاحين الذين يحتكرهم هذا الاقطاعي . وحبيبها الفقير من المتمردين الذين لا يرضيهم الظلم الواقع عليهم . ويحن جنون الاقطاعي ، ويصعق حين يعلم بنبأ العلاقة القائمة بين ابنته وهذا المتمرد . ويكون الامتحان ! هل تطيع الابنة نداء الاب ولا تبدي نحوه عقوقا أليما ؟ أم تطيع صوت الحب ، ذلك الحب الذي يتسلح هنا بمبادىء سامية تطالب بتحقيق العدالة والمساواة ؟ ولا تتردد الفتاة كثيرا ، انها تواجه والدها وتنتصر عليه ، وتهرع الى حبها وحبيبها .

نحن هنا أمام ظاهرة فريدة ... أريد أن أقول : نحن هنا أمام عمل فني « ثورة العمالقة » داخل عمل فني آخر « حارة الطيب » . والشيء الفريد هنا أن بين العملين ارتباطا في الموضوع والايقاع ، وكأن الاول رمز للعمل الاكبر : « حارة الطيب » . فبطل « حارة الطيب » يكافح من اجل مبادئه مثلما يكافح بطل « ثورة العمالقة » ، وهو فقير ، مثل فلاح « ثورة العمالقة » ، والاثنان يحبان ، وحبيبة الفلاح المتمرد تقف بجانبه وتتمرد على أبيها ، وحبيبة رفعت مخلص تقف بجانبه وتتمرد على عمها ، لان أباها في الدار الآخرة .

نعود الى « ثورة العمالقة » التي ألفها بطلنا الشاب رفعت مخلص . كيف تجد طريقها الى النور ؟ كيف تتجسد على خشبة المسرح ومؤلفها كاتب ناشيء ؟ وأي هو من الاسماء الكبيرة التي تحتل مقالاتها الصفحات الاولى في الجرائد والمجلات ، ويكتب اسمها ، في المسارح ، بأضواء النيون ؟

وهنا يلتقي القارىء بصفحات جميلة ، جريئة ، جد خطيرة . ذلك أنها تعرض للمهازل التي تتكرر في حقل الادب والفن من يوم لآخر . وأبطال هذه المهازل معروفون : أسماء رنانة استطاعت ان تفرض نفسها في السوق ، بل واستطاعت أن تحتكر هذه السوق ـ اسماء رنانة تحقد وتنافق وتسخر ، والشيء المؤلم أن لكلماتها وزنا ، بصرف النظر عن

دسامة هذه الكلمات أو تفاهتها . وبعض الاسماء اللامعة يعيش في جو الصداقات والمجاملات ، فيصفق لنجمة محبوبة ويظل يثني عليها ويجند لها صفحاته .

ثم لا يقف الامر عند هذا الحد، هناك أسماء رنانة ((نفسها حلوة))، لا مانع لديها من وضع توقيعها على كتابات الادباء الصغار !!!

شيرين فهمي ، الكاتب المليونير ، وصاحب دار النشر، ومدير ورئيس تحرير جريدة الساعة ، شيرين فهمي هذا يسرق رفعت مخلص ، يسرق مسرحيته ويضع اسمه عليها ويحاول اغراء رفعت بالمال ، وبوظيفة ناعمة في دار النشر ، مقابل ان يفكر رفعت مخلص لشيرين فهمي ! مقابل ان يسكت ويظل يكتب له هو .

ألست معي ، أيها القارىء ، في أن الرواية هي رواية رفعت مخلص، وكفاحه في سبيل فنه ومبادئه ، قبل أن تكون رواية سكان حارة الطيب ؟

يتمرد رفعت مخلص على هذه النزعة الاقطاعية في حقل الثقافة المقدس ، ويبدو منه أنه سيعلن الحقيقة ويفضح شيرين فهمي . ولكن شيرين فهمي يستغل نفوذه ويدبر له مؤامرة مفتعلة ، يتهم فيها رفعت مخلص بالنصب والاحتيال وتزوير أوراق ومستندات . وينجو رفعت مخلص في النهاية على يد أبناء حارة الطيب ، وتثبت براءته ، ويرتفع صوت الحق عاليا .

*

هذا ملخص موجز ـ للغاية ـ لاحداث الرواية . وهو ملخص يكاد يغمطها حقها ، ذلك انه يقف عند المعالم البارزة جدا ويترك بقية المعالم للقارىء الذي سيطالع الرواية كاملة . ومن المعالم التي أغفلها الملخص قصة الحب الذي ترعرع بين رفعت مخلص وسوسن ، ابنة شقيق شيرين فهمي. وما دمنا قد أشرنا الى سوسن فلماذا لا نستعرض دائرة الاشخاص الذين يتحرك رفعت في نطاقهم ؟ هناك سوسن حبيبته ، وعفت شقيقته ، وامه الست اعتدال . فاذا خرجنا من الدائرة الخاصة الى الدائرة التي تليها مباشرة وجدنا سكان حارة الطيب . وهنا تتردد أسماء علي افندي شلش ، عم زكي ، الاسطي عبد الحي ، صلاح عبد الحميد ، ابراهيم افندي ، المؤذن الشيخ محسن اسماعيل ، الحاج دعبس ، أم زينب ، الحاجة نبوية واختها نفيسة ... الخ ... الخ ... أما الدائرة الثالثة، الاكثر رحابة ، فتمثل العالم الخارجي بكل ما فيه من خير وشر . وفي هذه الدائرة الثالثة يتحرك شيرين فهمي وابنه المدلل منير (وان كنا لم نره اطلاقا في الرواية) ، الممثلة المشهورة شريفة التي تمثل دور البطولة في مسرحية ((ثورة العمالقة)) (والتي أجاد المؤلف رسمها) ، وعثمان الكبير الشاب الجاد الذي ينقد في صفحة الفن ويعبر عن رأيه دون مواربة أو مجاملة ، فيرفته شيرين فهمي لانه لا يخضع لسياسة الجريدة في المجاملة والمحاباة . كما نلتقي أيضا بالكاتب القصصي عبد التواب الفندور الذي بدأ كاتبا موهوبا ذا مبادىء ثم باع قلمه وارتاح الى المال الوفير الذي يدفيء جيبه ويدفع له أقساط الفريجيدير والعربة والبوتاجاز .

*

والنغمة التي تشيع في سطور الرواية بأكملها هي نغمة التمرد والسخط ، وهو تمرد يصدر عن عقول ناقدة ـ لا حاقدة ـ عقول لا يرضيها ما تراه . والمتمرد لا يجد الطريق ممهدا أما بطبيعة الحال . ان هناك من يقاومه . بل ان الامر لا يقف عند هذا الحد ، ان المقاومة قد تدور داخل المتمرد نفسه . وقد عرض المؤلف كثيرا لهذا النوع من المقاومة . فبطلة مسرحية ((ثورة العبيد)) موزعة النفس بادىء الامر بين واجب الطاعة لابيها الاقطاعي ، وصوت حبيبها الذي يكافح من أجل مبادىء شريفة ، ويحب الفتاة الحب كله . وسوسن حبيبة الكاتب الشاب رفعت مخلص تتابع سطور هذه المسرحية وتعيش هذا الصراع في أعماقها، ثم تقف الى جانب البطلة في تمردها . ورفعت مخلص نفسه يمر ـ في لحظات تمرده ـ بصراع داخلي ، قوة تريده أن يستسلم ويخضع للمقدور، وقوة تريده ألا يسكت ، وأن يقاوم . غير أن هذه الشخصيات كلها تنتصر للجانب المضيء ، وتعطي لتمردها معنى .

وهو صراع أيضا بين الآباء والابناء . وأحب أن أقول ان نغمة الابوة والامومة والبنوة تتردد كثيرا في هذه الرواية ، وهي تتردد في هدوء وخفوت لان اللحن الاساسي يطغي ـ في الموسيقى ـ على ما عداه من ألحان . ان هناك صراعا بين مها الابنة والاقطاعي الاب ، وسوسن الفتاة المرهفة التي تحب رفعت تثور على شيرين فهمي ، عمها ـ أي والدها . والاديب رفعت نفسه يتمرد على أمه الطيبة في اللحظات التي تستسلم فيها أكثر من اللازم . كان رفعت يطيع أمه ، بل ويعبدها ، ولكنه بدأ ـ في قمة الصراع مع العالم الخارجي ـ يشك في جدوى الاستسلام والصبر والابتعاد عن بطش الظالمين ، وكلها اتجاهات تمثلها أمه . هنا يبدأ الصراع ـ وان متأخرا :

((ولكن هل يوافق أمه ويستسلم لمصيره ؟

هل يخضع لارادة الثلاثي المتآمر : شريفة وشيرين والفندور ؟

هل يقول هذا قدر مكتوب .. وينتازل عن مسرحيته ويندب حظه شأن المستسلمين ؟

وشعر ، لاول مرة في حياته ، بأنه يختلف مع أمه .. بل يختلف معها اختلافا جذريا .. فأمه تريد منه أن يستسلم .. وهو يريد أن يقاوم .. (ص ١٠٩) .

ولا يمكن أن نقول عن هذا النوع من الصراع أنه مجرد صراع بين الآباء والابناء ، والا لبطل معناه الكبير ودلالته العميقة . ان الصراع بين الآباء والابناء هو في الحقيقة صراع بين القديم والجديد ، صراع بين جيل يتمسك بأشياء ربما صلحت للامس ولكنها لا تصلح لليوم ، وجيل ينشبث بمبادىء اليوم ويرنو الى الغد ، جيل يضحي بمبدأ الطاعة من أجل أن يثور ويعبر عن مبادئه .

والحديث عن الصراع بين الآباء والابناء يجعلني أقف عند شخصية الام قليلا . لقد نجح محمد جلال في تصويرها نجاحا تاما . وهي من الشخصيات التي تأخذ بلب القارىء طوال بقائه مع صفحات الرواية .

صدر حديثا

الاشتراكية والديموقراطية

دراسات معمقة عن مفهوم الاشتراكية وصلتها بالديموقراطية ، وعن الديموقراطية كوسيلة لتحقيق اهداف القومية العربية ، وعن التربية الديموقراطية.

تأليف

الدكتور عبد الكريم عبد الدائم

الثمن ٢٠٠ قرش لبناني

منشورات دار الاداب

ان سر نجاح هذه الشخصية انها مرسومة بدقة ـ ببساطة ـ بوضوح . والغريب ، بعد هذا كله ، انها لا تشغل صفحات كثيرة من الرواية . ربما كان هذا هو سر نجاح شخصية الام . انها لا تتطفل على أحداث الرواية، وانما تؤدي دورها من حين لآخر . ونحن ننتبه الى وجودها عندما نسمع كلماتها ، تلك الكلمات التي تألفها من كل أم طيبة :

« .... يا عفت .. يا عفت !

..... الله ... انت جيت !

. . . . . .

طيب واقفين كده ليه .. ما تطلعوا تقعدوا عندي شويه .. انتم سايبني لوحدي .. » (ص ٧١) .

وأكاد أقول انها ـ من حيث رسمها وتصوير معالمها ـ أنجح من شخصية سوسن على سبيل المثال (أخشى أن أكون قد غاليت أو تجنيت قليلا) . وهذا يثير قضية خطيرة في عملية الخلق الفني . أن المؤلف ، او بطل الرواية،متحمس جدا لشخصية سوسن * ، بل هويعيش وجودهما بقلبه ، بوجدانه. ومن أجل هذا يتناولها بحماس . ولكن ، يبدو أن عملية الابداع لا تقبل الحماس الزائد لخطة التدوين . ان الفنان يتحمس لموضوعه ، هذا أمر مسلم به ، ويثيره هذا الموضوع ويدفعه الى الكتابة دفعا ، غير أنه حين يشرع في الكتابة بالفعل يحاول ترتيب أفكاره ، واسترجاع نقاط موضوعه . أي أنه يسجل في شيء من هدوء ، واستقرار . ان هذا يذكرنا بما قاله أحد الشعراء والنقاد الانجليز حين تحدث عن « العواصف التي يتم استرجاعها بهدوء وطمأنينة » .

وعفت ، أخت الكاتب ، مرسومة بنجاح ، وان جاء دورها ثانويا ، وهي تصلح بطلة لرواية تخصها وحدها . مرحة ، لطيفة ، طيبة المعشر ، نزقة ولكن في غير اسفاف ، جريئة تحب الصراحة ، لا يخلو فمها من الدعابات اللاذعة الساخرة . وهي نموذج بشرى للطالبة الحديثة ، لابنة اليوم .

*

ثم نصل الى مشكلة المشاكل التي تواجهنا في معظم انتاجنا الفني: التكنيك ! والسطور التالية تناقش التكنيك على حدة وهي كارهة ، ذلك ان عملية الفصل بين الشكل والمضمون غير مستحبة اطلاقا ، غير أن دواعي التشريح والتحليل استدعت ذلك فمعذرة .

ولا بد من مقدمة .

ما زالت اللغة العربية منكوبة بلعنة الزخارف اللفظية ، والنزعة الخطابية . ويبدو أن هذه الشوائب أشبه بالاغلال التي تعوق حركة السير ... سير من ؟ سير الافكار . وليتصور القارىء مدى هذه الجناية : جناية اللغة على الافكار . ان الاستطراد ، والسعي وراء الزخارف والعبارات الطنانة يجعل المعنى ـ بالضرورة ـ فضفاضا ، ذلك أن اللغة الفضفاضة التي تبعثر كلماتها في سخاء مفرط توصلنا الى معان غامضة ، لها صوت مرتفع ولكنه أجوف في كثير من الاحيان .

اننا بحاجة الى لغة معمارية ، تشبه كل كلمة فيها قالب الطوب المنسق الاجزاء . كل قالب له وظيفته في البناء السليم ، واذا زحزحته عن موضعه فربما تخلخل البناء ، والى جانب هذا لا تستطيع أن تضيف قالبا زائدا ، اذ أين تضعه ؟ نحن في حاجة الى كتابة معمارية تصف الحدث في ايجاز واقتصاد ، لغة تتحول فيها البلاغة من بلاغة كلمة الى بلاغة حدث ـ لغة تبتعد عن الوصف ، وتدع الشيء يصف نفسه . أفضل لي أن أقول « كان القصر يتألف من مائة حجرة » من أن أقول « كان قصرا شامخا متعاظما رحبا يتوه فيه الزائر ، وتكتظ حجراته كأنه مدينة قائمة بذاتها » . ان العبارة الاولى تبهرني في ايجاز ، وتقول لي في نفس الوقت ان القصر كان شامخا متعاظما رحبا . نريد للغة ألا تقف وتترثر وتشرح ، نريد لها أن تشير فقط وتدعنا نحن نتأمل ونشرح لانفسنا بانفسنا . لا نريد تعليقا ، ان عبارة كالعبارة التالية لا تحتاج الى تعليق واستدرار للدموع ، لانها بليغة في حد ذاتها « ورفعت امه عينيها اليه ، ولكنه صفعها » .

نعود الى رواية « حارة الطيب » . انها تعاني من النزعة البلاغية الخطابية ، من ذلك على سبيل المثال :

وعندما تلاشى وقع أقدام رفعت .. فتحت النافذة على مصراعيها وهي في نشوة طاغية ، واستندت على حاجزها وكأنها ملكة تستعرض جيشا يقدم فروض الطاعة والولاء ..

وخيل اليها أنها ترى حارة الطيب لاول مرة ..

وأول ما جذب نظرها تلك الشجرة التي تزهو أمام مسجد سيدي الطيب تتراقص فروعها في نشوة .. وتسللت عيناها الجدار السميك ، وتلفتت نظراتها المئذنة الشامخة التي تنطلق منها أغلى الاحاسيس .. وشعرت برهبة .. فانحسرت نظراتها لتلتقي بالاولاد .. أولاد الحارة في زيهم المدرسي النظيف وكتبهم مشرعة بين أيديهم تشق لهم طريق المستقبل كبلابل تشدو لحنا سماويا ! » (ص ٤٠)

والغريب ان المؤلف يصف هنا فتاة رقيقة وادعة لا يمكن أن تذكرنا بملكة تستعرض جيشا .

ويتصل بمشكلة الزخارف والتشبيهات الفضفاضة شيوع النزعة التقريرية في الكثير من رواياتنا وقصصنا القصيرة . وهذه النزعة التقريرية نوع من الاستطراد في السرد، استطراد يخرج عن سياق القصة ليطلع القارىء على شيء معين بطريقة اخبارية ، تقريرية ، لا تدخل في بناء القصة بطريقة محكمة . وعيب هذه الطريقة أن القارىء يفاجأ بها ، وكأن المؤلف يقول له : انتظر لحظة ، سأقضي لك ببعض المعلومات عن... ان كنت لا تعرفها .

مثال هذا ان قارىء « رواية الطيب » يتتبع السطور التي تنبض بها صفحة ٩١ ، ويتابع الحوار الملتهب الدائر بين شيرين فهمي ورفعت مخلص وعبد التواب الفندور ، ويقول عبد التواب الفندور أن من بديهيات الحب الاولى أن لا يعترف بالطبقات . ويقول شيرين بلهجة حازمة وهو يحاول انهاء المناقشة : لست مقتنعا بهذه النظرية ! وفجأة ، يفاجأ القارىء بحشد من المعلومات والبيانات التقريرية : ان شيرين فهمي « ... عاش في بيئة تكره المساواة وتؤمن بأن الناس أقوياء وضعفاء .. وان الطبقة القادرة صاحبة السلطان لها حق السيادة على الطبقة الضعيفة ، الفقيرة .. بل ان هذه الطبقة الاخيرة خلقت لكي تضع كل امكانياتها لخدمة الطبقة القوية .. وعليها أن تقدم طائعة ثمرة فكرها وجهدها وعرقها وأموالها الى الطبقة الاعلى ، التي وهبتها الطبيعة عناصر تفوقها من امتياز في السلطة والثراء والقوة !

لقد كان شيرين فهمي اقطاعيا فكرا ووجدانا !

تفتحت عيناه على آلام ودموع وصراخ الآخرين .. والاخرون كانوا الفلاحين والفلاحات الذين يكدحون طوال عمرهم لتزدهر مئات الافدنة بلوزة القطن ... »

ان القصص والروايات الناجحة تحاول ان تعتمد على عنصر التركيز، كما تحاول اقتباس تكنيك المسرح بأن تجعل الاحداث والحوار ينقلان كل شيء ، مع استبعاد كل ما هو تقريري او اخباري . كما أن الروائي الناجح يحدد الزاوية التي سيحكي منها قصة . هل سيكتب القصة من وجهة نظر البطل ولا يرينا الا ما يراه البطل فقط ؟ أم أنه سيحكي القصة من وجهة نظره هو فيصف لنا الشخصيات من الخارج ؟ أم سيطلعنا على مسرح الرواية من وجهات نظر الشخصيات المختلفة التي تتحرك فوق هذا المسرح ولا يقحم هو نفسه ؟ ان تحديد الزاوية من البداية أمر ضروري للغاية . ولذا فوجئت في رواية « حارة الطيب » بتزاحم الزوايا واختلاطها ، فنحن أحيانا مع البطل رفعت مخلص ، وفجأة نجد أنفسنا ننظر الى سقف الحجرة بعيني سوسن ، ثم نلبس فجأة رداء شيرين فهمي ، ونطلع على ما يعتمل في أعماق شخصية أخرى كانت بعيدة عنا ! وتارة نقف مع الكاتب نفسه نتأمل مخلوقا من الخارج . ولكنا نتزعج

---

* وضح هذا الحماس أيضا عندما تسبب في بعض الاخطاء المطبعية. ففي الصفحات ٨ ، ٢٠ ، ٢٣ كانت الاشارة الى عفت ، شقيقة البطل ، غير أن القلم كان يكتب « سوسن » بدل « عفت » !

فجاة حين نراه ـ نرى الكاتب ـ يحدثنا نحن ! ! ! وقد حدث هذا في مواضيع كثيرة . مثال هذا أننا كنا نعيش داخل شخصية سوسن وهي تناجي نفسها ، وتفكر في الحب الذي تخفيه ولا تجرؤ على التصريح به لحبيبها رفعت مخلص . انها تناجي نفسها ثم نفاجأ بالكاتب يحدثنا نحن كقراء ـ وبدون سابق انذار ، وسأورد هنا اطار هذه « المفاجاة » كاملا :

« ... ان نفسها انبرت تحدثها بطريقة لم تالفها من قبل وكأنها تكفر عن الحماقة التي ارتكبتها أمام رفعت قائلة : الى متى ستظلين مثقلة بهذا الحمل .. أليس من الافضل ان تلقيه عن كتفيك حتى تستريحي ولا تجعليني أتصرف هذا التصرف الاحمق الذي سبب لك هذا الارتباك ..

واذا كنت تنتظرين الغد .. فهذا الغد لا بد أن يأتي يوما ما .. ومن الافضل أن تجعليه غدا !

ولو كنت (يقصد القارىء) تجلس بجوار السرير الذي كانت تضطجع عليه سوسن ، وأمامها عفت المتحفزة للانتصار على صديقتها وارغامها على البوح بسرها .. لرأيت آثار المعركة العنيفة الدائرة في أعماقها واضحة على تسمات وجهها ... » (ص ٩)

وفي موضع آخر ، في بداية الفصل السادس ، نقرا :

« كانت قلقة ..

ظلت تتقلب على سريرها ككرة غير مستقرة تتدحرج بدون انتظام . لو شاهدتها ساعتئذ وهي مستلقية على ظهرها ، مرتدية قميص نومها الوردي ... لقرأت علامات القلق والاستغراق في التأمل .. » (ص ٧٤)

ومن العيوب التي ناخذها على تكنيك الرواية عيب آخر شائع ، وهو اختلاط الفصحى بالعامية في الحوار . والمسالة هنا ليست مسالة مطالبة بأن يكون الحوار بالعامية ، ذلك ان للكاتب ، حرية اختيار القالب الحواري (وان كانت العامية أقرب الى الواقع وأكثر حرارة) ... ان الاعتراض هنا موجه الى ظاهرة المزج بين الاثنين في سطر واحد وبدون مبرر ، صحيح أننا نتكلم العامية أحيانا وندمج بها ألفاظا من الفصحى ، غير أن هذه الظاهرة نادرة . من أمثلة الخلط بين العامية والفصحى :

« ... فأقول له : عمي خد على عاتقة مساعدتك وانه حياخد بايدك حتى نصبح من الكتاب الكبار ! » (ص ٤٦)

« ما أظنش اللي أفكاره كده يتغير بسهولة .. ربما تدعوه مصلحته في أن يضع قناعا على سلوكه ونزعاته .. » (ص ٥٢)

وفي بعض الاحيان كان المؤلف يتجاهل الايقاع الزمني السليم للاحداث والخواطر ، فيجعل بعض الخواطر تنساب داخل حيز زمني غير معقول . مثال هذا أن سوسن تطرق باب أسرة رفعت تسأل عن أخت رفعت ، وصديقتها الحبيبة ، الآنسة عفت ، ولا تجدها ، وتقف عند الباب مترددة خجلى ، ثم يسعفها القدر فتسمع وقع أقدام الصديقة عفت وهي تدلف الى البيت وتصعد السلم . ان الايقاع الزمني لصعود عفت السلم يستغرق لمحة عابرة ، غير ان المؤلف يتجاهل هذا الحيز ويشحنه بخواطر تمر بذهن سوسن في هذه اللحظة . خواطر تستوعب فترة طويلة جدا ، أطول من فترة صعود عفت على السلم . وتستغرق هذه الخواطر الصفحات ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ـ وفي النهاية يتم اللقاء بين الفتاتين !

وأحيانا يقطع المؤلف تسلسل الاحداث عن عمد ويحول عدسته عن الصورة الرئيسية ليصف أشياء في الطريق . ان البطل يذهب الى مكتب شيرين فهمي ، لاول مرة ، والمقابلة غامضة ، وحاسمة ، وخطيرة . والتكهنات ... وموضوع المقابلة ... كل هذا يظن في رأس البطل ... غير أن هذا لا يمنعه من تأمل السكرتيرة مليا والاقدام على محاولة لتقييم حركاتها وقسماتها . ان الوصف المسهب الذي ورد في صفحتي ٨٠ ، ٨١ اعتداء على التسلسل الزمني الحقيقي الذي يستغرقه دخول رفعت ، واعتداء على الحالة النفسية لرفعت وهو يدخل مكتب شيرين فهمي . وقد نتقبل وصف رفعت للممثلة شريفة ، لان للوصف دوره في ابراز شخصيتها ، أما السكرتيرة ، فان دواعي التركيز تستبعد وصفها استبعادا تاما . وينطبق هذا أيضا على البائعة التي قدمت للبطل أقراص الاسبيرين وهو في طريقه الى المسرح . ان جوهر الفن في الحذف قبل ان يكون في الاضافة . والفن هو الذي يفرق بين حادثة يحكيها لي جاري في الاوتوبيس ونفس الحادثة حين يحكيها لي فنان . ان جاري في الاوتوبيس قد يحكي لي كل شيء ، بترتيبه الزمني الفج ، ودون ابراز للنقاط ذات الدلالة واغفال للنقاط غير الهامة .

بقيت ملاحظة لعلها لفتت أنظار الكثيرين من قراء هذه الرواية ، وهي وقوعها ـ في مواضيع كثيرة ـ في فخ المبالغة . فحارة الطيب نفسها تبدو لنا أحيانا وكأنها مدينة فاضلة ، كأنها يوتوبيا . نحن لا نستكثر على اهلها ان يكونوا بهذه الصفات النبيلة المثالية . ولكن كان من الممكن أن نقتنع بهذه الصفات لو أورد لنا الكاتب عيوبهم ونواحي نقصهم ، فمن شأن هذا أن يجعلهم اكثر واقعية ، وبذلك نقتنع بهم ونصدق المؤلف حين يصف لنا فضائلهم . ان وصف الحارة يفوح أحيانا برائحة رومانسية مرهقة ، وذلك حين يقول الكاتب على سبيل المثال : « وفي اليوم التالي خرجت مجلة الحارة الاسبوعية والتي يرأس تحريرها رفعت تروي في عدد خاص قصة عم عثمان (الفكهاني) كاملة .. الرجل الذي عاش خمسا وأربعين سنة في كفاح من أجل أن يمد أهل الحارة والحارات المجاورة بأطيب الفاكهة وأرخصها » . ومن المواقف الغير المقنعة أيضا اقدام ممثلة ، وهي على خشبة المسرح ، على تغيير النص تغييرا جوهريا ! ! وتصفيق الجمهور لها وصياحهم : تحيا شريفة ! وصياح النقاد والصحفيين : برافو شريفه . ومن أمثلة المبالغات الرومانسية أيضا كثرة الدموع التي تتدفق من عيون معظم شخصيات الرواية ، بسبب وبلا سبب .

ولكن ، مما يشفع لهذه الرواية ، انها عمل مخلص جاد ، وأن النزعة الانسانية تغمره ، والرغبة في الصراحة وفضح الاكاذيب تشيع فيه . كما يبدو أيضا أن في جعبة المؤلف الكثير ، وهو شيء نرجو أن نطلع عليه في رواية قادمة .

القاهرة — **محمد عبدالله الشفقي**

صدر حديثا

مع الإمام علي

من خلال «نهج البلاغة»

دراسة مستفيضة عن عبقرية الامام علي كسياسي وحكيم من خلال خطبه ورسائله التي يتضمنها كتابه الخالد « نهج البلاغة »

تأليف

خليل الهنداوي

منشورات
دار الاداب

الشقاء في خطر

للشاعر مالك حداد ـ ترجمة ملك ابيض العيسى

منشورات مكتبة الشرق بحلب ـ ١٤٢ ص

الجزائر ملحمة البطولة العربية ومشعل كبريائها الطافح بالزهو ، ان اطفال وهران الذين يشربون من دموعهم ، ونساءها اللواتي يتساقطن كالزنابق الجافة ، ورجالها الذين يحصدهم عذاب فرنسا المحمـــوم لم يستطع شعرنا المعاصر على كثرته أن يصل الى صعيده ، صعيـد الآلام المبدعة والبطولة التي تقطر شموخا وعزة !

ومهما يكن من أمر فلعل الغد القريب يكشف لنا عن طاقات مبدعـة تجعلنا نبارك مستقبل هذا الشعر ونبتهج له . هذه بضعة أحرف كنت احسها جديرة بمدخل عابر لهذه الكلمة .

ان صاحب هذه المجموعة الاستاذ مالك حداد .. شاعر عربي مـن الجزائر بيد أنه يكتب بالفرنسية ، انه لم يتعلم من فرنسا الا يتمـــه وضياعه ، ان الفرنسية منفاه هكذا كان يتألم : « الفرنسية هي منفاي الذي أعيش فيه يا أراغون ، لو كنت اعرف الغناء لتكلمت العربية » .

ولد الشاعر في مدينة قسنطينة عام ١٩٢٦ ، ويتلفت الطفل ـ كما يقول الشاعر سليمان العيسى ـ الى ما حوله فلا يرى من تاريخه ولغته واصله الا بقايا محطمة تراجعت الى البيت لتحتفظ بكل شقائها وعنفوانها في حكايات الحيرة وحنان الام ولفظ الصبية الصغار » (١) ، ومن هنا يبدأ منطلق مأساته فيدخل مدارس فرنسا والاغاريد الصبية تختنق في حلقه ، ويتفوق الشاعر الشاب على من سواه من ابناء (الوطـن الام) فينال جوائز النبوغ بكبرياء عربية ، ويسافر شاعرنا الى فرنسـا ويتم هناك دراسته العالية ويحصل على اجازة الحقوق في مدرسة « اكس آن بروفانس » .

ان مالك حداد شاعر الثورة الجزائرية ، انه كتلة مـن الاحاسيس الثائرة والاماني اللفاء ، قلبه مفعم بالانسانية وحب الحياة ، ورغم ان شاعرنا ولد عام ١٩٢٦ فانه يصر على أنه ولد في صباح ٨ ايار ١٩٤٥ يوم المأساة الدامية (٢) انه يصر أن يعانق تاريخه تاريخ وطنه وامته ، ان مالك حداد ليس وحده هو الذي ولد في صباح تلك المأساة المروعة . ان الجزائر كلها قد ولدت صبحية ذلك اليوم .

ان مالك حداد وصحبه الاخرين كمحمد ديب وكاتب ياسين ومولود فرعون ومولود معمري (٣) هم قادة القافلة التي تصارع قوى البغـــي باعصابها واقلامها ، القافلة التي منفاها فرنسا بيد أنها لم تنس آلامهـا العربية ومجدها الخالد ووجودها العربي الاصيل فأمسى قادتها يعبرون بلغة فرنسية عن تجربتهم القاسية تجربة القصص الراعفة والتشرد البغيض والعبودية المرة .

(الشقاء في خطر) يجسد لنا باصالة تلك التجربـة القاسية ، ان مقدمة الديوان الطويلة التي بلغت زهاء (٣٤) صفحة فذكرتنا بمقدمات الكاتب الايرلندي (برناردشو) وددت وأنا اتلو سطورها أن لا تنتهي ، فزخمها الادبي الشاعر جعلني في حيرة قاسية ، كنت أقول : اذا كانت المقدمة بهذا العمق الشاعري الاصيل فكيف بأناشيد الديوان واغنياته ؟ ! انني لم أقرأ عن الانسانية وحب الحياة أقوى مما كتبه مالك حداد ، اذ ان اغلب ما كتب في هذا المجال يغلب عليه طابـع التحويج والهتافيـة والحمام واغصان الزيتون التي تتقاطر بلا حساب ! ..

ان مالك حداد هنا في مقدمته روح الانسانية وقلبها الحي الكبير ، ان كل حرف فيها يثير في قارئه أعمق ما في النفس من مشاعر ، اسمعه يقول : « انك لتتألم في صميمك حين ترى الاشجار تقطع اغصانها لتصنع منها حواضـن للبنادق ص ١٧ » « انك تفط قلمك في السواقي الكدرة ، السواقي التي تحمل الجسد المتورم للافاعي عدوة المياه الصافية المفردة، محبرتك هي النبع .. هي الانسان كله ، وفي آخر معجم في اخر سفر من اسفار الادب ستتحول كلمة (بطل) الى كلمة (انسان) .

ما أعمق هذه الكلمات وما اوقعها في النفس ، انها تخلع عـــلى احاسيسنا اردية ساحرة من اللذة العميقة وحب (انسان) بشرنـــا العمـــلاق .

ان اغاني الديوان تتوزع بين عذاب انساننا في الجزائر وضياعه الى حبه للحرية وتشوقه لوطنه وتطلعه نحو الغد العربي الباسم الى مواضيع انسانية عامـة !

اي ان الشقاء في خطر هذا الاسم الجميل المؤثر يكشف لنا اروع اللحظات واغناها بالمشاعر الحية ، ويرصد اقسى ما يعانيـه انسـان الجزائر من ازمات نفسية ومجازر مروعة وذل واستعباد وضياع ، انه ان اردت الايجاز مأساة وتفاؤل الجيل العربي الجديد أمام مستقبله !

فمالك حداد في قصيدته (يجب أن نقتل الليل) يتمزق ضجـرا كلما تذكر انه بعيد عن وطنه عن (جزائر) الملحمة البطولية والابـــاء الشامخ عزة ومضاء ، انه يبحث عن الرائع النبيل فلا يجده ، آه انـه يجب عليه ان يطرد هذه الاطياف الموحشة ، هذا الليل الساخر ، هـذه القبرة المتخمة بالانغام التي ترافقه ، ان رفاقه صرعى وقراهم على شقائها تباد ، ان (صانعي المغامرات السود) يقتلون نسغ الحيـاة باستمـرار ولهفة « وبالرغم من كل هذا يعيش شعبنا في الجزائر » .

وبعد فالشاعر لا ينتهي هنا فقط ، انه يتفاعل بالغد المشرق ، الغد الذي يستطيع فيه الاطفال أن يقولوا (وطني هو الانسان) :

سنبدع تقاويم جديدة للزمن ، سنصب الحياة كلمات في توابيت رفاقنا ، سنجفف دموعنا بأكفاف فقيرة ، وسنقول لاولادنا الذين ذاقوا اليتم الف مرة ستتجبون اطفالا يعرفون اباءهم ، اطفالا يستطيعون ان يقولوا : وطني هو الانسان (الشقاء في خطر ص ٥٦) .

ما كان اعذبها فكرة واحلاها التفاتة « سنجفف دموعنا باكفـــان فقيرة » ، « وطني هو الانسان » .

ان القصيدة تقطر أسى وانسانية وتفاؤلا ، أمور ثلاثة تختصر مـا في الديوان من اغان وآهات ، فالبارود يبعث في يبعث في نفس شاعرنا الغثيان ، انه يحب السوسن رفيق أيار .

أما في قصيدته (سأعطيك النهار الجميل) فان الشاعر يذكـــر منفاه ويتمه ، يذكر فجيعته ، انه عندما ينقل حبه لوطنه العظيم يجـد أنه يستخدم جملا غريبة تخرج من شفة غريبة ، انه يتيم القبل ألا ما أشد ما تحمله هذه العبارة من زخم أسيان : « اني استخدم كلمات تخرج من افواه غريبة ، اني يتيم القبل ، احس هذا اليتم كلما لاح موطن الفجـر بعيدا عن عيني ما أقسى ان يكون الانسان يتيم القبل » ص ٦١

ان احساسه بمنفاه بيتم قلبه ، لعله اقسى ما في الديوان مـــن (اغنيات) انها شلال من الآلام والتفجع فأي لوعة حارة وانكار ساخط يكمن في قوله : « أماه ! .. يامه ، هل يمكن ان يكون اسمك : Ma mère

ص ٦٧

---

(١) المقدمة (حكمة على الطريق ص ٧)

(٢) في هذا اليوم قام الاستعمار الفرنسي بأبشع مجزرة في التاريخ الانساني سقط فيها ٥٠ ألف شهيد وزج بمثل هذا العـدد في غياهب السجون وذلك اثر اجتماع جماهيري كبير اعلن فيه ابطالنا حبهم لوطنهم.

(٣) راجع في ترجمة هؤلاء ودراسة بعض آثارهم كتاب (ادباء مـن الجزائر) تأليف الدكتور ابراهيم الكيلاني (سلسلة اقرأ) .

وقوله في موضع آخر « لكلمة وطني عندنا طعم الاساطير » ص ٦٦
أو في حنينه الى ماضيه يوم كان راعيا صغيرا يلهج (بعربيته) الحلوة : « ابنك الذي يلقن ان يقول في لغة غريبة تلك الكلمات الحلوة التي كان يعرفها عندما كان راعيا » ص ٦٧

أو في ذر هذا (التفرس) الذي ينكره عليه ابناء الوطن الام : « اتسموني جزائريا ، لا تقولوا ذلك فهذه شقيقتي لا تضع على وجهها الخمار ، ألم أحصل في المدرسة على الجوائز في الفرنسية ، يا الهي ما أشد وطأة الظلام في عيني هذه الليلة » (٤) ص ٦٩ .

ان هذه الصور رغم اختلاف (ناظرها) كما يبدو الا انها تكشف لنا مأساة يتمه وضياعه ومنفاه مأساة المعمري والشرايبي وديب وياسين ، مأساة الشعب العربي المعذب في كافة أقطاره .

وفي الديوان صور بديعة وفكر ساحرة الاطياف ، ان جاذبية عبقر وخصبه النغمي ثريتان فيها مما يدلنا على اشراق اصالة الشاعر وعمق ادراكه لفنه .

يقول في قصيدته (سأعطيك النهار الجميل) « اني احب ابلبل ، ولكنهم يريدون تعبئة اغانيه في اسطوانات ، وحين ارى ذلك ، أشعر ان الغابات قد سطا عليها اللصوص أنا واثق من ذلك » ص ٦٢

وهذه فكرة رائعة لا يقتنصها الا الافذاذ من الشعراء . وقوله : « المطر يتساقط فوق الشمس التي تجفف ابتسامتها ، المطر يتساقط على يد الماضي ، عندما كنت ملكا لايار ، المطر يتساقط على حبي الذي لم يعد له ما يهمس به » ص ٧٨ فقد اشعرنا باستمرارية المطر وديمومة سقوطه فللفظة هنا فوق قيمتها التعبيرية الداخلية قيمة تعبيرية خارجية في الدلالة على الصورة التي يتضمنها البيت ، ان الكلمات الجميلة هي النور الذاتي المتميز للعقل .

وقوله يصف غريقا يطفو ويرسب : « الغريق يطفو في عباب التيار ، ناسجا من شعره سيقان الغرب » ص ٨٢ فالغرب نبات رخو ضعيف يتحرك من مكانه حركة التفافية حوليه ، ان ربط هذه الوضعية من الصور بشعر الغريق الذي ينساب هو الاخر في حركة التفافية جاء يقطر جماليه فالالفاظ هنا تقمصت روحا من الحركية والايحاء زرعت في افئدتنا لحظات تجل قاسية وشعورا غامرا بجمال الحياة . انها لقطة بارعة تستدعي منا وقوفا اطول وثناء زنبقي الظلال .

ومن خصب صورة وتألقها قصائده (بعيدا عن القبر ص ٨٨ ، صور ٩٢ ، عندما تفتش باقات الزهور ص ١٢٢ ، المخاض العظيم ص ١٢٩)
والذي اود أن اقوله أخيرا ان مقدمة الديوان عندي اروع من اغانيه ، انها رؤيا شمولية ضاغطة لمأساة الانسان العربي في تشرده وحقده وتفتحه للحرية والحياة .

وبعد فلست أزعم ان هذه دراسة للديوان انما هي تحية مخلصة أعربت فيها عن ودي الخالص لشاعرنا العربي مالك حداد الشاعر الذي تغنى بمأساتنا وتمزق جيلنا الحاضر وضياع وجهه الاصيل عبر اقنعة من المدنيات المختلفة ، اننا في انتظار ذلك اليوم الذي يتخلص فيه هو ورفاقه من منفاهم ولكنتهم الفرنسية فيتعلموا العربية ويجيدوا صناعة اساليبها فيزدهر الادب العربي بسبب خصب عطائهم واصالته « فالمادة الفكرية كما يقول الدكتور الكيلاني عند الفئة الممتازة منهم موجودة والاستعداد الذهني حاد التوقد » نأمل ان يكون ذلك قريبا بعون السواعد السمراء والقلوب المؤمنة برسالتها وحبها للحياة والحرية .

بغداد — **مزيد الظاهر**

(٤) ان تكرارد هذه العبارة بين اونة واخرى خلع على جو القصيدة نوعا من المأساوية والتمزق زاد من جمالية طابعها .

صدر حديثا — عن دار الاداب

غادة السمان

في

مجموعتها القصصية

عيناك قدري

■ « غادة السمان رائعة رائعة ، باسلوبها وجوها . واني أتمنى لها مستقبلا رائعا » .
توفيق يوسف عواد

■ « غادة موهبة لفحتها عاصفة الحياة ، فصدعت واستعرت تنشد السر وتنتجع الرؤى، تقطف من لهيب الاعصار وتركض وراء السراب. فكر رأى وذاق ، ذاق النبع الاصيل نبع الحياة ، فكان من اصدق الصيحات في ادبنا العربي الحديث ، وقلم تنطق الحياة الصادقة فيه، فلا يعرف الزيف اليه سبيلا . »
عبدالله عبد الدائم

■ « فكر جريء وقلم مجدد ، وبداية تبشر بمستقبل خصب في فن القصة العربية ، ان غادة السمان تقوض الاطر التقليدية وتشق طريقها في الحياة لتسلك درب الابداع والخلود . »
نور الدين حاطوم

■ «لا استطيع الا ان أتوقع من هذه الكاتبة غزوات ضخمة في دنيا الادب ، وانا لا اتصور ان تقديمها بهذه القوة سيملأها بالغرور . »
موسى صبري

■ « اتوسم في قلم غادة طاقة جديرة بالالتفات ، فهو حتما ليس من تلك الاقلام الانثوية التي تبيع وتشترى في سوق التهريج » .
سميرة عزام